

الفصل السابع عشر

من الخرافة الى العلم

١٦٤٨ - ١٧١٥

١ - المعوقات

كانت الطبيعة كما تصورها كل الأوربيين فى القرن السابع عشر - فيما عدا قلة قليلة منهم - نتاجا ، أو ساحة قتال ، لكائنات خارقة ، خيرة أو شريرة ، تسكن أجساد البشر نفوسا ، أو تسكن الأشجار والغابات والانهار والرياح أرواحا مخيية ، أو تدخل الكائنات الحية ملائكة أو شياطين ، أو تجوب الهواء عفاريت خبيثة . وليس من هذه الأرواح ما يخضع لقانون لا يمكن خرقه ، أو يمكن حسابه ، فأى روح منها يستطيع أن يتدخل بطريقة معجزة فى حركات الأحجار أو النجوم أو البهائم أو البشر ، وكانت الأحداث التى لا تنجم بشكل مرئى عن المسلك الطبيعى أو المنتظم للأجسام أو العقول ، تنسب لهذه القوى الخارقة التى تقوم بدور غامض خفى فى شئون هذه الدنيا ، ينذر بشر أو ينبىء بخير أو يتنبأ بالمستقبل . وكل الأشياء الطبيعية ، وكل الكواكب وسكانها ، وكل الأبراج والمجرات ، ان هى الا جزر لا حول لها ولا قوة فى بحر خارق للطبيعة .

وقد مرت بنا ألوان من الخرافة فى العصور السابقة لهذا القرن . وعمر أكثرها بعد مجيء العلم الحديث على يد كوبرنيك وفيساليوس وجاليليو ، وازدهر بعضها حتى فى نيوتن نفسه ، لقد استمر اضمحلال التنجيم والخيمياء (الكيمياء القديمة) ، ولكن المنجمين كانوا عديدين فى بلاط لويس الرابع عشر (١) ، وفى فيينا « كان هناك عدد هائل من المشتغلين بالخيمياء (٢) » كما روت الليدى مارى ورتلى مونتاجيو فى ١٧١٧ . وكان البريطانيون الأشداء لا يزالون يؤمنون بالأرواح ، ويتطهرون ، ويدفعون ثمنا للطوالع ، ويأخذون أحلامهم على أنها نبوءات ، ويحسبون أيام السعد والنحوس ، أما البريطانيون الأضعف منهم فيلتمسون من الملك ابراء الداء الخنازيرى الذى ابتلوا به بلمسة

منه . وقد ورد فى العدد السابع من صحيفة « سبكتاتور » وصف للانقلاب الذى يحدثه فى أسرة بريطانية قليل من الملح يتناثر ، أو سكين وشوكة توضعان متقاطعتين على صحن ، أو ثلاثة عشر شخصا يجمعون فى حجرة أو جماعة (ويلاحظ عدم وجود طابق ثالث عشر فى بعض فنادق القرن العشرين) . وفى فرنسا أصبح جاك ايمير بطل زمانه (١٦٩٢) لأنه كان يستطيع (فى اعتقاد الكثيرين) بشد أملود بندق يمسكه بيده أن يكتشف قرب مجرم منه (٣) .

وفى ألمانيا كانوا يستعملون عصا سحرية لوقف النزف وشفاء الحروح وجبر العظام (٤) . وفى السويد اتهم شتيرنهيلم بالسحر حين أحرق لحية فلاح بمرآة مكبرة ، ولم ينقذ صاحب التجربة من الموت غير تدخل الملكة كرسينا (٥) .

كان المتشككون فى السحر يتزايد عددهم ، ولكن الراجح أن المؤمنين به كانوا أكثر منهم بكثير . وكانت حاشية تشارلز الثانى لا تأبه كثيرا بأى عفاريت قد تفسد عليهم لهوهم ، ولكن « الكثرة الساحقة » وأبرز المؤلفين بين رجال الدين الانجليز ، كانوا لا يزالون يؤمنون بأن البشر يستطيعون أن يتحالفوا مع الشيطان فينالوا بهذا التحالف قوى خارقة (٦) . وقد ذهب جوزف جلانفيل ، وهو قس أنجليكانى راجح العقل قوى الاسلوب ، فى كتابه « خواطر فلسفية حول الساحرات والسحر » (١٦٦٦) الى أنه من العجب العجاب أن « رجالا فيهم ذكاء وحذق فى غير هذا الامر ، يتوهمون أنه ليس هناك شيء اسمه ساحرة أو شبح » ونبه قراءة الى أن شكوكا من هذا النوع تفضي الى الالحاد . كذلك روى قسيس مشهور آخر اسمه رالف كدورث فى كتابه « نظام الكون الفكرى الصحيح » (١٦٧٩) بالكفر كل من ينكر وجود الساحرات (٧) . وقد دافع أفلاطونى كمبردج ، هنرى مور ، فى كتابه « ترياق الألحاد » (١٦٦٨ ؟) دفاعا حارا عن قصة « ساحرة » تزوجت الشيطان ثلاثين عاما ، وراه تجديفا كبيرا أن يتشكك متشكك فى قدرة الساحرات على اثاره العواصف بالتعزيم ، أو ركوب الهواء على مكنسة (٨) .

وخف اضطهاد الساحرات شيئا فشيئا ، ولكن رجال الدين

طرقا للروغان من الرقباء ، ولعل الذكاء الفرنسي قد شحذته ضرورة التعبير عن الأفكار بطريقة تدق على فهم موظفي الرقابة . وفي كولونيا الكاثوليكية فرض رئيس الاساقفة الناخب الرقابة على الاحاديث او المطبوعات الدينية . وفي براندنبورج البروتستنتية أمر الناخب الأكبر برقابة دقيقة ليهديء الصراع الدينى . وفي انجلترا واصلت الحكومة سجن المؤلفين البغيضين وحرقت الكتب المهرطقة رغم صدور قانون التسامح (١٦٨٩) (١٢) . على أن تنوع الملل والنحل فى الدول البروتستنتية جعل الرقابة فيها أقل جدوى منها فى الدول الكاثوليكية ، ولعل هذا بعض السبب فى تفوق انجلترا وهولندا فى العلم والفلسفة فى القرن السابع عشر .

لقد اتفقت المذاهب المتنافسة على التعصب . وحاجت الكنيسة الكاثوليكية فى اقناع بأنه ما دام كل المسيحيين تقريبا يقبلون الكتاب المقدس على انه كلمة الله ، وبما أن ابن الله أسس الكنيسة كما نص الكتاب ، فواضح اذن أن من حقها وواجبها أن تقمع المهرطقة وانتهت المذاهب البروتستنتية الى استنتاج مماثل وان كان أقل تعطشا للدماء . فما دام الكتاب كلمة الله ، فكل من يحيد عن تعاليمه (حسبما تفسر رسميا) يجب على الأقل أن يقمع ، وأن يكون شاكرا لأنه لم يقتل . واعترفت معاهدة وستفاليا (١٦٤٨) بمذاهب شرعية ثلاثة فى ألمانيا : الكاثوليكية ، واللوثرية ، والكلفنية ، وترك كل حاكم حرا فى أن يختار أيا منها ، وأن يفرضه على رعاياه . أما الدول الاسكندنافية فلم تسمح بغير اللوثرية . وأما سويسرة فأباحت لكل ولاية تقرير عقيدتها . وافتتحت فرنسا الطريق الى التسامح باصدارها مرسوم ناننت (١٥٩٨) ، ثم طريق العدول عنه بالغاء المرسوم (١٦٨٥) . أما انجلترا فقد خفقت بعد ١٦٨٩ من القيود المفروضة على المنشقين من البروتستنت ، واستمرت تفرضها على الكاثوليك ، وأبادت ثلث الكاثوليك فى ايرلندا . ووافق العقلانى هوبز اليابوات على ضرورة عدم التسامح .

ولكن التسامح كان فى ازدياد . وبدأت الدراسة الناقدة للكتاب المقدس فى هذا العصر تجعل الناس أحرارا فى الاعجاب به أدبا والتشكك فيه علما ، وجعل تعدد المذاهب النظام الاجتماعى أعرس فأعرس بدون التسامح المتبادل . وفى « انجلترا الجديدة » أعلن روجر وليمزر

(١٦٤٤) أنها « ارادة الله وأمره » أن « تباح لجميع الناس ، فى جميع الأمم ، أشد المعتقدات والعبادات وثنية ، أو يهودية ، أو تركية ، هو عداء للمسيح (١٣) » وطالب جون ملتن بـ « النشر دون رخصة » (١٦٤٤) ، ودافع جيريمى تيلور عن « حرية التنبؤ » (١٦٤٦) . وأجاز جيمس هارنجتن (١٦٥٦) الحرية الدينية بغير حدود فقال : « حيث تكون الحرية المدنية كاملة ، فانها تشتمل على حرية الضمير ، وحيث تكون حرية الضمير كاملة . . . فان للانسان حسبما يملئ عليه ضميره الحق فى الممارسة الكاملة لدينه دون أن يكون ذلك عائقا لترقيته أو توظيفه فى الدولة (١٤) » . أما فى الدول التجارية مثل هولندا ، وحتى فى البندقية الكاثوليكية ، فقد اقتضت ضرورات التجارة التسامح مع شتى أديان التجار القادمين من بلاد أجنبية . وهولندا المتحررة هى التى نشر سبينوزا فيها فى « الرسالة اللاهوتية السياسية » (Tractatus theologico - Politicus) (١٦٧٠) دعوة للتسامح الكامل مع الأفكار المهرطقة ، وفى هولندا دافع بيل عن التسامح فى كتابه « تعقيب فلسفى على الآية : ألزمهم بالدخول » (١٦٨٦) ، وبعد سنين من الإقامة فى هولندا نشر لوك كتابه « رسائل فى التسامح » (١٦٨٩) . وازدادت المطالبة بالحرية الفكرية عقدا بعد عقد ، حتى اذا بلغ القرن السابع عشر ختامه لا نجد كنيسة تجرؤ على صنع ما صنعه الكنيسة ببيرونو فى ١٦٠٠ ، أو بجاليليو فى ١٦٣٣ « ومع ذلك فهى تدور " Eppur si muove »

٢ - التعليم

كانت المعرفة تنتشر فى ببطء عن طريق الصحف ، والمجلات ، والنشرات ، والكتب ، والمكتبات ، والمدارس ، والأكاديميات ، والجامعات . وأصبحت الأنباء فى القرن السابع عشر سلعة تباع وتشتري ، أولا للمصرفيين ، ثم للحكام ، ثم لآى انسان . وفى ١٧١١ كان مجموع ما وزع من الصحف البريطانية اليومية أو الأسبوعية . . . ٤٤٠٠٠ (١٥) .

وأدركت « الجورنال دى سافان » (صحيفة العلماء) التى تأسست فى ١٦٦٥ أن الأحداث فى عالم الأدب والعلم يمكن أن تكون أيضا أنباء ، فما لبثت أن رسخت أقدامها وسيطا دوليا بين الدارسين

والعلماء والأدباء . ولم تمض سنوات قليلة حتى ظهر لها منافسون ، « الجورنالى دي ليقتراتى » فى روما ، (١٦٦٨) ، و « الجورنالى فينيتو » فى البندقية (١٦٧١) و « الاكتا ايروديتورم » فى ليبزج (١٦٨٢) . وأسس بيل مجلة مشهورة بروتردام فى ١٦٨٤ تسمى « أنباء جمهورية الأدب » ، وبعد عامين بدأ جان لكير مجلة « المكتبة العالمية » الشهيرة ، وقد احتوت هذه الدوريات على آراء من أهم ما صدر عن لوك وليبنتر .

وكان تداول الكتب يزداد بسرعة . ففي ١٧٠١ كان هناك ١٧٨ من كبار تجار الكتب فى باريس ، منهم ستة وثلاثون طباعا وناشرا (١٦) . وكانت المكتبات قديمها وحديثها تجعل كنوزها ميسرة لعدد أكبر من القراء . وفى عام ١٦١٠ حصل السر توماس بودلى من « شركة الوراقين » على منحة تحصل مكتبة بودلى التى أنشأها فى أكسفورد (١٥٩٨) بمقتضاها على نسخة من كل كتاب ينشر فى انجلترا ، وهكذا أصبحت فى ١٩٣٠ تملك ١٢٥٠٠٠٠٠ مجلد . وفى ١٦١٧ قضي مرسوم أصدره لويس الثالث عشر بأن تودع فى المكتبة الملكية (القومية الآن) نسختان من كل مطبوع جديد فى فرنسا . وفى ١٦٢٢ أصبح مجموع كتب هذه المكتبة ٦٠٠٠٠ مجلد ، وفى ١٧١٥ زاد الى ٧٠٠٠٠ ، ومعظم الفضل فى هذه الزيادة يرجع الى غيرة كولبير ، وفى ١٩٢٦ بلغ ٤٠٠٠٠٠٠ . وأسس ناخب براندنبورج الأكبر مكتبة قومية ببرلين فى ١٦٦١ . وفى ذلك العام أوصى مازاران بمكتبته الثمينة التى ضمت ٤٠٠٠٠٠ مجلد للويس الرابع عشر وفرنسا ، وفى ١٧٠٠ حول حفدة السر روبرت بروس كوتون ملكية المكتبة الكوتونية للمتحف البريطانى . وافتتح توماس تنسن عام ١٦٩٥ بلندن أول مكتبة انجليزية مفتوحة لعامة الشعب .

أما التعليم فكان يجاهد لتعويض الخسائر التى تكبدها من جراء الحروب الدينية فى فرنسا ، والحرب الاهلية فى انجلترا ، وحرب الثلاثين فى ألمانيا . ولم تعد المدارس والاداب الألمانية الى مكانتها التى بلغت أيام لوثر ، وأولريش فون هتن ، وملانكتون قبل قرنين ، الا حين جاء ليسنج (١٧٢٩ - ٨١) . فى هذه الفترة ظلت اللاتينية غير المتأثرة لغة غريبة مقتصرة على القلة المتعلمة ، فى حين أصبحت الألمانية مجرد

أداة سوقية بعد أن بلغت عنفوانها فى لوثر ، ولم يرق كاتب ألمانى واحد الى مقام الشهرة الدولية خلال هذا التكفير الطويل عن جيل من حرب التقتيل بين الاخوة . أما النبلاء الالمان ، الذين احتقروا الحذقة اللاتينية للجامعات ، فقد أرسلوا أبناءهم الى « مدارس الفرسان Ritterakademien » أو كلفوا معلمين خصوصيين ليعدوا الشباب العريق النسب لما تتطلبه القصور الأميرية من واجبات ولطائف . وفى الطرف الآخر من السلم الاجتماعى نظم أوجست فرانكى ، التقوى ، فى هاله معاهده التى سماها *Stiftungen* ، وهى مؤسسات خيرية هزأ منها الساخرون ووصفوها بـ « المدارس المهلهة » ، وظل طوال اثنين وثلاثين عاما (١٦٩٥ - ١٧٢٧) يطعم فيها أبناء الفقراء ويكسوهم ويعلمهم . ولم يلبث أن أضاف اليها مدرسة أعلى توفر التعليم الثانوى لالبع فتياته ومدرسة نظيرها لالبع فتياتة . وهذه المدارس كلها كانت تخصص نصف وقتها للدين .

ووجدت الروح العلمانية فى ألمانيا معبرا عنها فى شخص كرستيان توماسيوس . وسنشيد بذكره فيلسوفا فى موضع لاحق ، أما الآن فنراه أعظم المعلمين الالمان فى جيله . فبعد أن طرد من موطنه فى ليبزج لهرطقاته ، رحل الى هاله فى دولة براندنبورج - بروسيا الناهضة (١٦٩٠) ، وأدت محاضراته هناك الى انشاء الجامعة ، وقد أصبح أشهر أساتذتها ، والمناضل الذى جعل منها أول جامعة « حديثة » . وقد هزأ بالسكولاستيه ، وأحل الألمانية محل اللاتينية لغة للتعليم ، وأصدر مجلة ألمانية ، وأدخل البرامج العلمية فى المنهج ، وكافح فى سبيل حرية المعلمين والطلاب فى التفكير . ولقبه فردريك الأكبر أبا التنوير الالمانى .

وجعل التعليم الأولى عاما والزاميا للجنسين فى دوقية فورتمبرج عام ١٥٦٥ ، وفى الجمهورية الهولندية عام ١٦٩٨ ، وفى دوقية فيمار فى ١٦١٩ ، وفى اسكتلنده عام ١٦٩٦ ، وفى فرنسا عام ١٦٩٨ ، وفى انجلترا عام ١٨٧٦ . وكان تخلف انجلترا راجعا الى الانتشار الواسع للتعليم الأهلى بفضل الهيئات الدينية الخاصة ، والى شعور الطبقات الحاكمة بأن تعليم الفقراء فى النظام الاقتصاى السائد آنئذ غير ضرورى بل ربما كان غير مرغوب فيه . وقد بدأت « جمعية تشجيع

المعرفة المسيحية « في ١٦٩٩ تنشيء « مدارس خيرية » للأطفال الفقراء ،
لنشر اللاهوت والتهديب المسيحيين بصفة خاصة ، واشترط أن يكون
مدرسوها كلهم أعضاء في الكنيسة الانجليزية ، وأن يحصلوا على
ترخيص من الاسقف . وندد بهذه المدارس بزناد ماندفيل ، الذي أحدث
ضجة في ١٧١٤ بكتابه « خرافة النحل » ، وقال انها مضيعة للمال ،
وان الآباء اذا كانوا أفقر من أن يدفعوا نفقات تعليم أبنائهم « فان من
الوقاحة أن يتطلعوا الى ما فوق قدراتهم (١٧) » .

أما في فرنسا فقد فرض على كل أبرشية أن تمول مدرسة أولية .
وكان المدرس عادة علمانيا ، يختاره الأسقف ويشرف عليه ، وكان التعليم
كاثوليكيًا لا تهاون فيه . أما « المدارس الصغيرة petites écoles
التي أنشأها البور - رويال فلم تصل الا لقلّة منتقاة من الصبيان . وفي
١٦٨٤ أسس جان باتيست دلاسال « اخوة المدارس المسيحية » ، التي
عرفت بعد قليل بالاخوة المسيحيين Frères Chrétiens . وقد جعل
لاسال ، ذلك القس الزاهد ، الدين جوهر التعليم الذي وفره هؤلاء
« الاخوة المسيحيون » مجالنا لأبناء الفقراء . وخصص للممارسات
الدينية أربع ساعات في اليوم ، وأضيفت القراءة والكتابة والحساب ،
ولكن الهدف الذي لم يغب عنهم قط كان تدريب الكاثوليك الأوفياء ،
وتخليص النفوس من طيش الحياة الدنيا ومن النار الأبدية . ووجد أن
الجلد نافع لهذه الأغراض . وكان المعلمون يحضون على التعليم بالقدوة
أكثر من المبدأ . وفي ١٦٨٥ افتتح الاخوة المسيحيون مؤسسة لعلمها كانت
أول مؤسسة حديثة لتدريب معلمى المدارس الأولية .

وظل التعليم الثانوى بفرنسا في أيدي اليسوعيين ، وكان لا يزال
خير تعليم في البلاد المسيحية . وغيرت كليتهم اليسوعية الواقعة وراء
الصوربون مباشرة اسمها الى «كلية لويس الأكبر Collège Louis -le- Grand»
بعد أن حضر الملك مسرحية أخرجها هناك التلاميذ في ١٦٧٤ . وافتتح
لويس الرابع عشر في ١٦٨٦ ، تحت الحاح مدام دمانتون ، في
سان - سير (على ثلاثة أميال من فرساي) أول مدرسة داخلية فرنسية
للبنات . وكانت الاديار توفر التعليم العالي للبنات الصفوة ممن يدفعن
نفقاته ، مع التركيز دائما على الدين . وأجمعت السلطات الكاثوليكية

والبروتستنتية على أن الطبيعة البشرية تتنافر أشد التنافر مع ضوابط الحضارة بحيث لم يكن سبيل لترويضها على الفضيلة والنظام الا سبيل مخافة الله . وما زالت محاولة تهذيب الخلق دون معونة من الدين فى مرحلتها التجريبية .

اما الجامعات فكانت الآن فى دور الاضمحلال ، وذلك باستثناء الجمهورية الهولندية ، فالمذاهب الدينية المنتصرة تقوم بتطهيرها من المخالفين ، والطلبة المشاغبون ينشرون فيها الفوضى ، والخلافات اللاهوتية تسيطر عليها . وكانت الدرجات الجامعية فى فرنسا وألمانيا تباع بالمال . ولم يكن بين أساتذتها أحد من أفذاذ فلاسفة العصر ، الا قلة من كبار العلماء ، وكان هوبز ، وليبنتز ، وبيل ، يتحدثون عن الاساتذة باحتقار لا يغتفر ضغوط الجماهير على الموظفين العموميين . وفتحت فى هذه الفترة بعض الجامعات الجديدة : جامعة دويسبرج (١٦٥٥) ، ودرم (١٦٥٧) ، وكيل (١٦٦٥) ، ولند (١٦٦٦) ، وانسبروك (١٦٧٣) ، وهاله (١٦٩٤) ، وبرسلاو (١٧٠٢) . وكان أكثرها مؤسسات صغيرة قل ان زاد أساتذتها على العشرين وتلاميذها على الأربعمائة . وفى معظمها كان المنهج قد تجمد بمرور الزمن ، واشتراطات السنية شلت حركة الطلاب والمعلمين على السواء ، وقد شكا ملتن من أن الجامعات الانجليزية « تسلب الشبان استعمال عقولهم بتعاويد من الميتافيزيقا ، والمعجزات ، والتقاليد ، والأسفار السخيفة » . وقال انه يشعر أنه ضيع شبابه فى كمبردج محاولا أن يهضم « وليمة حمير كلها اشواك وعليق فاسد » وغير ذلك من « الهراء السفسطائى (١٨) » وقد استمر قيد التقاليد هذا فى اكسفورد وكمبردج الى أن حفز مثال « الجمعية الملكية » ، وأستاذية نيوتن بكلية ترنتى (١٦٦٩ - ١٧٠٢) ، جامعة كمبردج على أن تفسح للعلم صدارة جريئة .

وكافح الشعراء والقساوسة ، والصحافيون ، والفلاسفة ، لبيعثوا النشاط والحيوية فى التعليم . ولقد لخصنا من قبل « رسالة ملتن الى مستر هارتلب » (١٦٤٤) عن المدرسة المثالية . ولكن لم يكن لوصفاته أى تأثير فى التعليم الفعلى . أما فى فرنسا فكان أمتع ما كتب فى هذا الباب رسالة فنيلون « فى تعليم البنات » (١٦٨٧) . وكانت مدام ديوفاييه قد طلبت اليه أن يجمع بعض المبادئ التى يهتدى بها فى

تعليم بناتها . وأكد الكاهن بالطبع تقوية الناموس الاخلاقي بالدين ، ولكنه استنكر ما شاب التعليم الديرى من تقشف وعزلة . وقال انه يشعر أن أديار الراهبات « لا تهيبء للحياة فى هذه الدنيا ، وهى حياة تدخلها خريجة الدير وكأنها خرجت من كهف لتقابل ضوء النهار الساطع (١٩) » وطالب بالطرق اللينة فى التعليم ، فيجب أن يوائم التعليم بين نفسه وبين طبيعة الطفل وميوله وحساسيته ، لا أن يخضع التلاميذ كلهم لقاعدة جامدة واحدة . فلنعلم بالطريقة التى تعلم بها الطبيعة - لا بالتجريدات ، بل بهداية الطفل الى لب الاشياء ، ولتكن ألعابهم وميولهم الطبيعية وسيلة التعليم (ها هنا بيداجوجيه روسو ، وتعليم القرن العشرين « التقدمى » يشرحه كاهن من كهنة القرن السابع عشر) . ويريد فنيليون أن تقرأ البنات الآداب القديمة ، بلغاتها الاصلية ان استطعن ، وينبغى أن يتعلمن شيئاً من التاريخ ، ومن القانون ما يكفى لادارة ضيعة ، ولكن لا شأن لهن بالعلم - فعلى الفتاة أن تبدى « بعض الحياء فى العلم » (une pudeur sur la science) . لقد كان الكاهن الوسيم حساسا لمفاتن الأنثى ، ولم يرد لهذه المفاتن أن تكتسي بعلم الجير ، وما كان ليفهم قط غرام فولتير بمدام دوشاتليه ، أستاذة الميكانيكا النيوتنية .

وبعد مقال فنيليون هذا بعشر سنوات ، نشر ديفو دعوته لتعليم النساء تعليماً عالياً . فالبنات الانجليزيات فى القرن السابع عشر لم تتح لهن الا فرص ضئيلة فى التعليم الثانوى ، اذا استثنينا البيوت الغنية . فكان عليهن أن يعتمدن على المدرسين الخصوصيين ، كما كان شأن استر.جونسن مع جوناثان سويفت ، أو أن يختلسن المعرفة بجهدهن الخاص كما فعلت ابنة ايفلين الأثيرة لديه . وعند ماكولى أن « نساء ذلك الجيل (١٦٨٥ - ١٧١٥) الانجليزيات ، حتى فى أرقى الطبقات ، كن قطعاً أسوأ تعليماً منهن فى أى فترة أخرى منذ حركة احياء العلوم » (٢٠) . وقد قدر سويفت أنه لا تكاد توجد امرأة راقية واحدة فى كل ألف لقنت القراءة أو الهجاء (٢١) ، ولكن ذلك الكاهن المتشائم كان يتركز على المبالغات . على أى حال كان رأى ديفو أن اهمال تعليم المرأة ظلم همجى « لست أعتقد أن الله تعالى جعل النساء مخلوقات غاية فى الرقة والنبيل ، وجملهن بهذه المفاتن ليكن مجرد مدبرات لبيوتنا ، وطاهيات ، واماء » . لذلك اقترح أن يكون للبنات أكاديمية شبيهة بالمدارس الخاصة فى انجلترا ، يتعلمن فيها - بالاضافة الى الموسيقى والرقص - « اللغات ،

خصوصا الفرنسية والايطالية ، وأنا أجرؤ على تقديم اقتراح مؤذ ، هو تعليم المرأة أكثر من لسان واحد » . وينبغي أن يتعلمن التاريخ ، ويكتسبن كل آداب الحديث ولطائفه . واختتم الروائي الغزل بقوله : ان امرأة أحسنت تربيتها وتعليمها ، وزودت بفضائل اضافية من المعرفة والسلوك ، لهى مخلوق لا نظير له . أبداع وأرق ما فى خليفة الله » ، وان « الرجل الذى كانت مثل هذه المرأة من نصيبه ليس عليه الا أن يغتبط بها ويكون شاكرا » (٢٢) .

كان كتاب جون لوك « خواطر فى التعليم » (١٦٩٣) (٢٣) ، الى حد كبير ، أعمق الابحاث التى كتبت فى النظرية التربوية فى عصر لويس الرابع عشر وأعظمها نفوذا ، وقد كتبه المؤلف بعد أن مارس التعليم مدرسا خصوصا عدة سنوات فى أسرة. ايرل شافتسبرى الأول . واقترح الفيلسوف - مترسما بادرات مونتيني - أن يكون هدف المعلم أولا صحة الجسد وعافيته ، فالجسم السليم شرط لا غنى عند للعقل السليم . لذلك كان على تلاميذه أن يتناولوا الطعام البسيط ، ويعودوا أنفسهم على اللباس القليل ، والفراش القاسي ، والجو البارد ، والهواء الطلق ، والرياضة الكثيرة ، والنوم المنتظم ، والامتناع عن النبيذ أو الخمر ، وعلى « قليل جدا من الدواء أو لادواء اطلاقا » . ويأتى بعد ذلك فى الزمان ولكنه يتقدم عليه فى الأهمية تكوين الاخلاق ، فكل التعليم سواء الجسدى أو العقلى أو الخلقى يجب أن يكون تدريبا على الفضيلة . وكما أن الجسم يجب تدريبه على الصحة باحتمال المشاق ، فكذلك يجب تشكيل الخلق بغرس نكران الذات فى جميع الاشياء التى تتعارض مع العقل الناضج . « ينبغي أن يعود الاطفال على اخضاع رغباتهم ، والاستغناء عن مشترياتهم ، حتى وهم فى المهد » . فضبط الشهوات أشبه بالعمود الفقرى للخلق . ويجب أن يجعل هذا الضبط سارا ما أمكن ، ولكن لا بد من الاصرار عليه فى مراحل التربية كلها . ولن تكفى فى ذلك الافعال الطيبة المفردة ، اذ لا بد من تربية الطالب بتكرار الافعال الطيبة لتكون « عادات » طيبة ، لأن « العادات تعمل بثبات ويسر أكثر من العقل ، الذى قل أن يستتار بنزاهة ونحن أحوج ما نكون اليه ، ونندر أن يطاع » . ويتردد لوك بين أرسطو وروسو . فهو يؤثر تعليما تحرريا على تعليم يتجاهل ميل الطفل وفرديته ، وينبغي أن تجعل الدروس مشوقة ، والنظام رحيفا ، ولكنه يقبل الفكرة القائلة بأنه من المرغوب فيه بين

الحين والحين توقيع العقوبات البدنية على سوء السلوك المتعمد . يضاف الى هذا « أن تعويد الاطفال فى لطف على تحمل درجات الألم دون احجام سبيل لاكساب أذهانهم الثبات وارساء أساس للشجاعة والعزيمة فى مستقبل حياتهم » .

وتربية العقل ينبغى أن تكون تدريجيا على طرائق التفكير ومشقة الاستدلال ، لاختلاصة للأدب القديمة أو تراشقا باللغات . ويجب أن تعلم الفرنسية واللاتينية للاطفال فى سن مبكرة ، وبالحديث لا بالنحو . أما اليونانية والعبرية والعربية فتترك للدارسين المحترفين ويحسن افراد وقت للجغرافيا والرياضة والفلك والتشريح ، وفى مرحلة تالية للأخلاق والقانون ، وأخيرا للفلسفة . « ليست مهمة التعليم أن يمكن الصغار من علم بعينه ، بل أن يفتح أذهانهم ويشكلها بحيث يتيح لهم القدرة على اتقان أى علم حين يعكفون عليه فى مستقبل أيامهم » وكما أن الفضيلة تعلم بالعادة فكذلك يعلم الفكر بالاستدلالات المتكررة :

« ولا سبيل الى هذا خير من الرياضة ، التى أرى بناء عليه وجوب تعليمها لكل من يتاح لهم الوقت والفرصة ، لا لجعلهم رياضيين بل لجعلهم مخلوقات مفكرة . . . فقد ولدنا لنكون - اذا شئنا - مخلوقات مفكرة ، ولكن سبيلنا الى هذا هى الممارسة والتمرين ، والواقع أننا لن نتجاوز فى هذا ما أوصلنا له جهدنا وعكوفنا . . . وقد ذكرت الرياضة وسيلة لتقر فى الذهن عادة الاستدلال بدقة وتسلسل ، . . . ، فاذا اكتسبوا طريقة الاستدلال التى توصل تلك الدراسة الذهن اليها ، استطاعوا نقلها الى ما يتاح لهم من أقسام أخرى من المعرفة (٢٤) » .

وقد قصد لوك برسالته ضربا من « التعليم المتحرر » - أى الذى يعنى أساسا بالفنون والأدب والسلوك ، والذى يهدف الى انتاج «الجنتمان» أى الانسان « الكريم » المولد ، الذى لن يضطر أبدا لكسب قوته بعرق جبينه X . ومع أن منهاجه يسمح ببعض العلوم ، فإنه على العموم

X كلمة « جنتمان » أصلها اللاتينى gens ، وهى العشيرة أو الأسرة من الأحرار . والتعليم الحر أو المتحرر liberal كان فى الاصل التعليم الموضوع للرجال الأحرار (liberi)

يلتزم « الانسانيات » - وهى الدراسات التى حبذها انسانيو النهضة الاوربية . وقد اشتمل كذلك على الرقص وركوب الخيل ، والمصارعة والمثاقفة ، وحتى « حرفة يدوية ، بل حرفتين أو ثلاثا » ، معوانا على الصحة والخلق ، لا سببا للرزق . أما الفنون فتعلم على سبيل الترويح لا الاحتراف ، وعلى الشباب ألا يأخذ هذه الامور مأخذ الجد الشديد ، عليه أن يستمتع بالشعر ، ولا ينظمه الا للتسلية ، ويجب أن يعلم الاستمتاع بالموسيقى دون أن يحاول اتقان العزف على أية آلة ، فهذا يقتضيه الكثير جدا من الوقت ، كما أنه يلقى بالشباب فى « صحبة غريبة جدا » ، وهكذا كانت رسالة لوك تجمع بين المحافظة والتحرر ، فهى فى استنكارها الاستغراق السكولاستى فى اللغات القديمة ، وتقليلها من التركيز على الدين واللاهوت ، واهتمامها بالصحة والخلق ، وجهدها فى اعداد الشباب العريق الاصل للحياة والخدمة العامتين ، كانت تومىء الى المستقبل ، وكان لها تأثير هائل فى انجلترا وأمريكا . وقد شاركت فى تكوين الجانب البدنى والخلقى للتربية فى المدارس الخاصة " public " الانجليزية . فلما ترجمت الرسالة الى الفرنسية (١٦٩٥) طبعت منها خمس طبعات فى خمسين سنة ، وأوحت الى روسو بالكثير من الآراء . أما تلميذ لوك ، ايرل شافتسبرى الثالث ، الذى سنلتقى به ثانية ، فقد شرف نظريات استاذة وخلقها .

٣ - الدارسون

واصل كبار الدارسين صياغة المستقبل بانارة الماضي ، وذلك برغم ما بدأ من انشغالهم باللغات المحتضرة والمناظرات الميتة ، ووجد بعضهم أنفسهم مشتبكين فى صراع المسيحية مع الفكر الحر .

ومن صغار الأدباء والعلماء من يستحق منا لفتة اجلال عابرة . مثال ذلك شارل دوفريسن ، سيد كانج ، الذى أدهش معاصريه - وقد عرفوه محاميا فى برلمان باريس - باصداره (١٦٧٨) قاموسا للاتينية الحديثة والوسيطه فى ثلاثة مجلدات ، بلغت من دقة الدراسة مبلغا يجعلها الى اليوم الحجة فى بابها . أما بيير أوويه فقد اكتشف وحقق مخطوطة هامة لأوريجانوس ، وتعلم السريانية والعربية ، والكيمياء ، وأجرى ثمانمئة تشریح ، وكتب الشعر والقصة ، واشترك

مع مدام داسييه العاملة فى نشر الطبعة « الدلفية » الشهيرة ذات الستين مجلدا للآداب اللاتينية ، وذلك لتعليم الدوفان (ولى العهد) ، وقد عين رئيسا لأساقفة آفرانش ، وحين مات خلف مكتبته التى هى الآن جزء ثمين من المكتبة القومية . وواصل أتباع بولاند من اليسوعيين نشر موسوعتهم المثينية Acta Sanctorum (أعمال القديسين) وفى باريس ، وتحت قيادة جان مابيون ، صنف مجمع سان - مورالبندكتى (١٦٦٨ - ١٧٠٢) تاريخا من عشرين مجلدا للقديسين البندكتيين ، وألقوا بهذا الضوء الهام على حوليات فرنسا الوسيطة وآدابها . وأعطى مابيون نفسه شكلا جديدا للطريقة القديمة لكتابة اللاتينية بمؤلفه De Re diplomatica (١٦٨١) ، الذى لم يكن كتيباً فى الدبلوماسية بل رسالة فى تاريخ المراسيم والمخطوطات القديمة وطبيعتها وحجيتها . كتب مابيون بعد أن أتم جزءا من أجزاء الضخمة ، « لنت الله لا يؤاخذنى على أننى أنفقت هذه السنين الطوال فى دراسة أعمال القديسين ، دون أن أشابههم الا قليلا » (٢٥) .

أما عملاق التبحر فى الدراسات القديمة فى هذا العصر فكان رتشارد بنتلى - الناظر الصارم لكلية ترنتى (بكمبردج) طوال اثنين وأربعين عاما . فلقد أفنى شبابه فى استيعاب المكتبة البودلية ، وكان وهو بعد فى التاسعة والعشرين من أكبر علماء أوروبا تفقها فى آداب اليونانية واللاتينية والعبرية وآثارها . وفى ذلك العام (١٦٩١) نشر رسالة فى مائة صفحة Epistola ad Millium موجهة الى « جون مل » سابق ، بلغ من دقتها وعمقها العلميين أنها أذاعت صيته فى طول أوروبا وعرضها . واختبر فى الثلاثين ليلقى أول سلسلة من المحاضرات التى دبر لها المال ووضع لها الاسم فى وصية الكيمياى الورع روبرت بويل . وقد استجاب بتقديم الحجج القوية على أن النظام الكونى الذى كشف سره فى كتاب نيوتن « المبادئ » (Principia) الحديث الصدور يثبت وجود الله . وكان هذا عزاء عظيما لنيوتن الذى اتهم من قبل بالاحقاد . وعين بنتلى فى وظيفة الامين الملكى للمكتبة ، وأعطى مسكنا فى قصر سانت جيمس . وهناك كان يلتقى مرارا بنيوتن ، وايفلين ، ورن ، ومن قلعتة تلك خاص معركة من أشهر معارك العلم البريطانى .

أما المعركة فنجمت عن مشاركة الانجليز فى الجدل القائم حول

مزايا الأدب القديم تجاه الجديد . بدأ السر وليم تمبل المعركة بمقالته « فى العلم القديم والجديد » (١٦٩٠) التى دافع فيها عن القديم . ولعل بنتلى كان مثنيا على المقالة لولا اشادتها بفالاريس مثالا على علو كعب اليونان فى الأدب . أما فالاريس هذا فكان دكتاتورا حكم أجراجاس (أجريجنسو) فى صقلية اليونانية فى القرن السادس قبل الميلاد . وقد وصفه التاريخ أو وصفته الاساطير بأنه كان يشوى أعداءه فى بطن ثور نحاسي ، ولكن التاريخ كرمه راعيا للأدب ، وقد انحدر الينا عبر القرون ١٤٨ خطابا قيل انها بقلمه . ونشر هذه الخطابات عام ١٦٩٥ طالب فى كلية كرايست تشيرش بأكسفورد يدعى تشارلز بويل . وطلب وليم وتون الى بنتلى الفصل فى حجية الخطابات ، اذ كان يعد طبعة ثانية (١٦٩٧) لكتابه « تأملات فى العلم القديم والحديث » الذى عارض فيه تمبل . ورد بنتلى بأن نسبتها الى فالاريس خطأ وأنها كتبت فى القرن الثانى للميلاد ، ثم أشار عرضا الى بعض الهفوات فى طبعة تشارلز بويل ، ونشر بويل ومعلموه دفاعا حارا عن صحة نسبة الخطابات لفالاريس . ودخل جوناثان سويفت ، سكرتير تمبل ، المعركة فى صف أستاذه بأن هزا ببنتلى فى كتابه « معركة الكتب » . وظاهر رأى الأدباء العام بويل ، وحزن أصحاب بنتلى على ما بدا من انهيار سمعته . ولكن رده عليهم جدير بأن نتذكره : « ان أحدا من الناس لم تخسف سمعته الا بيده » (٢٦) . وفى ١٦٩٩ أصدر كتابا مطولا عنوانه « رسالة فى خطابات فالاريس » . ولم يثبت الكتاب صواب رأيه فحسب ، بل ألقى من الضوء على تطور اللغة اليونانية ما جعل دنيا العلم والأدب تشيد به علامة جديرا بأن يقف على قدم المساواة مع كازويون وسلاماسيوس سكاليجر . وقال بنتلى انه حتى أسلوب الخطابات ينم على القرن الذى كتبت فيه ، وأضاف :

« كل لغة حية لا تكف عن الحركة والتغيير ، شأنها فى ذلك شأن أجسام الكائنات الحية التى تفرز العرق ، فبعض الألفاظ تذبل وتصبح مهجورة ، وغيرها يدخل اللغة ويزداد استعماله شيئا فشيئا ، أو قد تحول ذات الكلمة الى معنى ومفهوم جديدين ، يحدثان بمضي الزمن من التغيير الملحوظ فى جو اللثة وملاحها ما يحدثه الزمن فى خطوط الوجه وسحنته . وكل الناس يجسسون هذا فى لغاتهم القومية ، حيث

١٢ - قصة الحضارة

الاستعمال الدائم يجعل من كل انسان ناقدا ، فأى انجليزى لا يأنس فى نفسه ، من مجرد صياغة الأسلوب وزيه ، القدرة على التمييز بين الأبناء الانجليزى الجديد وانشاء قديم انقضى عليه مائة عام ؟ ومثل هذه الفروق الواقعية المحسوسة موجودة فى عهد اللغة اليونانية العديدة ولكن القلة القليلة هى التى أتيح لها من التفقه والمرانة على تلك اللغة ما يبلغها تلك الرهافة فى الذوق « (٢٧) » .

ها هنا أديب قادر على كتابة الانجليزية قدرته على قراءة اليونانية .

وفى ١٦٩٩ رقى بنتلى الى نظارة كلية ترنتى بكمبريدج باجماع الأساقفة الستة الذين عينهم وليم الثالث لترشيح من يشغل الوظيفة الشاغرة . فأحكم ضبط الطلبة ، وأصلح المنهج ، وبنى مختبرا للكيمياء ومرصدا للفلك . ولكنه نفر هيئة التدريس والآداب بالكلية بغطرسته وعتوه وولعه بالمال ، حتى لقد حكم برفته مرتين ، ولكنه ناضل للرجوع الى وظيفته ، واحتفظ بها الى النهاية . ونشر خلال ذلك عددا كبيرا من الدراسات اليونانية واللاتينية ، وشجع ومول الطبعة الثانية من كتاب نيوتن « المبادئ » وهدم أنطونى كولنز فى كتابه « ملاحظات على مقال حديث فى الفكر الحر » (١٧١٣) ، وغامر فى تهور بالخروج من ميدانه ، بأن علق على قصيدة ملتن « الفردوس المفقود » بتصحيحات متفجرة لنحو ملتن ونصه . وجلب على نفسه عداة الشاعر ألكسندر بوب اذ قال فى ترجمة بوب للياذة « قصيدة جميلة يا مستر بوب ، ولكن يجب ألا تسميها هومر » . روى بنتلى أن « الشبل المنذر بالشر » لم يصفح عنه قط . وهزأ به بوب فى « ملحمة المغفلين » The Dunciad (ابريل ١٧٤٢) بيتين من الشعر قال فيهما :

« المعلق الجبار ، الذى سفهت تحقيقاته المضنية هوراس ،
وحقرت قوافى ملتن » (٢٨) .

وفى يوليو مات بنتلى بعد أن اصطلح عليه بوب وذات الجنب .
لقد كان أعظم وأثقل أديب أنجبته أنجلترا .

وفى هذه الأثناء مد انجليزى آخر يدعى توماس ستانلى آفاق

الذهن البريطاني بأول كتاب إنجليزي في « تاريخ الفلسفة » (١٦٥٥ - ٦٢) ، وأدهش قراءه بتخصيص آخر مجلداته الأربعة للفلسفة الكلدية (العربية) . لقد أخذ العلم يجرؤ على تجاوز روما القديمة واليونان الى الشرق الأدنى والأوسط ، وكان لهذه الجرأة نتائج مزعجة . فاكشف ادورد بوكوك وحقق أربع ترجمات سريانية لرسائل العهد الجديد (١٦٣٠) ، وأنشأت أكسفورد لأجله أول كرسي للغة العربية فيها ، وفتحت محاضراته فيها عيون الانجليز على الحضارة الاسلامية . أما في فرنسا فان الموسوعة التي أفنى فيها بارتمى ديربيلو عمره ، وهي « المكتبة الشرقية » الضخمة (١٦٩٧) - التي وضع لها عنوانا فرعيا هو « قاموس عالمي شامل بصفة عامة لكل ما يتصل بمعرفة الشرق » - هذه المكتبة كانت كشفا عن التاريخ والعلم العربيين ، ولعبت دورا في توسيع الأفاق الفكرية توسيعا حطم كل القيود في حركة تنوير القرن الثامن عشر . وتعجب الطلاب من ذلك الغنى في شعر العرب وتاريخهم وفلسفتهم وعلومهم ، ولاحظوا كيف حافظ العرب على علم اليونان وفلسفتهم في الوقت الذي طواهما فيه النسيان ابان عصور غربي أوروبا المظلمة ، وعرفوا أن محمدا لم يكن مجرد دجال أفك بل كان حاكما ذكيا وسياسيا أرييا ، وحيرهم ألا يجدوا في العالم الاسلامي جرائم أكثر ولا فضائل أقل مما في العالم المسيحي . وأصبحت نسبة الاخلاق واللاهوت خميرة مذيبة في ذهن المسيحي .

وكان من أثر الدراسات للتاريخ الشرقي - بما فيه المصري والصيني - تقويض الحساب اليهودي الذي أرخ خلق العالم بسنة ٣٧٦١ قبل الميلاد ، والحساب الذي وضعه جيمس أشر ، رئيس الاساقفة الانجليكاني لأرما - بأرلنده - (١٦٥٠) وقرر فيه أن الخلق حدث « في بداية الليلة السابقة ليوم الاثنين ٢٣ أكتوبر ٤٠٠٤ ق م (٢٩) وكان سبينوزا - كما سنرى بعد قليل - يستهل (١٦٧٠) حركة « النقد الأعلى » للكتاب المقدس - أي دراسته بوصفه انتاجا بشريا ، غنيا في العظمة والسمو ، وفي الاخطاء والسخافات .

وقد جلب أعلم تناقد الكتاب المقدس في القرن السابع عشر على رأسه غضب بوسويه وسخطه في محاولته الرد على سبينوزا ، لأنه سلم في النهاية بالكثير مما زعمه الفيلسوف . وهذا الناقد ، واسمه ريشار

سيمون ، وأبوه كان حدادا ، التحق بالمصلى فى باريس ، ورسم قسيساً (١٦٧٠) وكتب فى ذلك العام نشرة دافع فيها عن يهود متز الذين اتهموا بقتل بطل مسيحي . وفى ١٦٧٨ ، بعد سنوات من البحث شملت دراسات مع عدة أحبار يهود ، أعد العدة لنشر كتابه « تاريخ نقدى للعهد القديم » . ورأى ، فى الطريق ، أن يفند حجج سبينوزا ضد الوحي الالهى للاسفار المقدسة . فسلم بأن أسفار العهد القديم ليست تماماً من عمل المؤلفين الذين نسبت لهم ، وأنه لا يمكن أن يكون موسى قد كتب الاسفار الخمسة كلها (التى ورد فيها وصف لموت موسى) ، وأن أسفار الكتاب عراها التغيير الكثير عن صورتها الأصلية بأقلام الكتبة والناشرين الذين نقلوها الى الخلف . وناضل سيمون للاحتفاظ بسلامة عقيدته وبرخصة طبع كتابه ، فزعم أن هؤلاء المراجعين كانوا هم أيضا يعملون بالوحي الالهى ، ولكنه اعترف بأن جميع نسخ العهد القديم الموجودة شوهتها التكرارات والتناقضات والالتباسات وغيرها من الصعوبات بحيث لا تتيح الا أساساً واهياً للاهوت عقائدى . ورأى أن يهاجم البروتستنت بهذه النقطة ، فقال ان ايمانهم بالوحي الشفوى للاسفار المقدسة يتركهم عاجزين أمام النقد النصي فى حين يستطيع الكاثوليكي الموالي لكنيستته أن ينجو من أذى هذه الدراسة الناقدة بقبوله التفسير الذى وضعته كنيسة روما للنص . واختتم سيمون بالقول بأن الوحي الالهى للكتاب المقدس لا يصدق على أى حال الا على أمور الايمان .

ووافق رئيس المصلى على نشر كتاب سيمون . وبينما كانت أصوله فى المطبعة وقعت بعض صفحات تجارب الطبع فى يد أرنو « الكبير » رجل البور - رويال ، فروعه ما قرأ . وأطلع بوسويه على التجارب ، فندد هذا على الفور بالكتاب باعتباره « نسيجاً من الكفريات . ومعقلاً للالحاد . . . سيهدم سلطان الاسفار القانونية (٣٠) » وناشد بوسويه السلطات الزمنية أن تمنع نشر الكتاب . فصادرت المطبعة بأكملها ، وقوامها ألف وثلاثمائة نسخة ، وعجنتها عجنًا واعتكف سيمون خورياً مغموراً فى نورمنديه ، ولكنه وجد السبل لطبع مخطوطته فى روتردام (١٦٨٥) وبعد أربع سنوات نشر كتابه « تاريخ نقدى للعهد الجديد » وأراد أن يتوج جهوده بترجمة جديدة للكتاب المقدس ، وفرغ من ترجمة

العهد الجديد ، ولكن بوسويه الذى أفزعته الحرية التى تناول بها
سميون النص المقدس أقنع المستشار بمصادرة الكتاب (١٧٠٣) .
وتخلى سيمون عن مشروعه ، وأحرق أوراقه ، ومات (١٧١٢) .

وأثارت ترجمته للعهد الجديد أربعين اعتراضا تفند هذه الترجمة
وتبين عصمته . على أنها ما زالت هى وكتاب سبينوزا « رسالة لاهوتية
سياسية » من المعالم فى الدراسة الحديثة للكتاب المقدس . وقد حذر
ليبنتز - بعد أن قرأ هذه الابحاث النقدية الاولى - من أن هذا الاتجاه
فى التحقيق لو استمر سيدمر المسيحية (٣) . ولم يحن الوقت بعد للمقول
هل كان مصيبا أم مخطئا فى زعمه هذا .